وقلنا مرارا وتكرارا إنه في ذلك لا يدخل الاكراه فإن الاكراه عذر شرعا وانما المقصود هنا ما يكون بغير عذر من الله وإنما يترك الواجب او يفعل الحرام بسبب فتنة الناس، مثل ما يقع من بعض الناس اليوم يذهب إلى بلاده وقد أعفى لحيته لأن النبي ﷺ قال :((اعفوا اللحى)) اكرموا اللحى فيذهب وقد أعفى لحيته؛ فيصبح الناس في بلاده، بعض الناس يستهزؤون منه ويسخرون من لحيته .أو يقولون وهابي جاءنا بدين جديد؛جاء باللحية من السعودية فبعض الناس يجعل فتنة الناس كعذاب الله فيحلق لحيته.

بعض الناس يهتدي إلى السلفية التي هي دين الله التي هي واجبة على المؤمن أن يتمسك بها ، السلفية التي جاء بها محمد ﷺ وفهمها الصحابة وعلّموها للأخيار من بعدهم ولازال الأخيار يعلمون الأخيار هذه السلفية الحقة اهتدى للسلفية وعرفها ومنَّ عليه بها ،ثم إذا عاد إلى بلاده وهو يعيش في وسط فيه جماعات حزبية ويصبحون يؤذونه بالكلام وبغيره بما لا يصل إلى حد الإكراه فيترك السلفية ،أو يتظاهر أنه مع هؤلاء الحزبيين الدعاة الي الباطل والشر وما يمزق أمة محمد ﷺ وما يؤدي إلى صرف القلوب عن الله إلى مخلوقين يتعلق بهم فيجعل فتنة الناس كعذاب الله.

هذا خوف مذموم بعض الناس يقول أنا ما أستطيع أن أظهر التوحيد لماذا؟؟ تضرب؟؟ تجلد؟؟تقتل؟؟

يقول :لا لكن الناس ما يحبوني إذا أظهرت التوحيد أو يؤذونني بالكلام أو نحو ذلك فهذا يجعل فتنة الناس كعذاب الله .

والواجب على المؤمن إذا أنعم الله عليه بنعمة شرعية أن يتمسك بها..وأن يظهرها..وأن يدعو اليها..وأن ينافح عنها ما لم يكره إكراها تتوفر فيه الشروط التي ذكرناها ، فيترك شيئا من أجل الاكراه مع اطمئنان قلبه بالحق وعدم نكوص قلبه عن الحق فذاك شيء آخر.

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا:"إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله و أن تحمدهم على رزق الله و أن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حفظ حريص،و لا يرده كراهية كاره"

هذا الحديث الذي ذكره الشيخ رواه: أبو نعيم في الحلية و البيهقي في الشعب،و إسناده واهن جدا،فإسناده في غاية الضعف.

و قد روي أيضا: عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا،رواه أبو نعيم و البيهقي و إسناده ضعيف،و لذلك في بعض نسخ كتاب التوحيد جاء عن أبي سعيد و هو صحيح و جاء في بعض النسخ عن ابن مسعود

و هو **صحيح**، فقد روي عن أبي سعيد و روي عن ابن مسعود و روي أيضا عن أنس رضي الله رواه ابن ودعان في الأربعين و إسناده ساقط.

إذن روي الحديث عن ثلاثة من صحابة رسول اللهﷺ: عن أبي سعيد، و عن ابن مسعود، و عن أنس رضي الله عنهم أجمعين. لكن جميع رواياته ضعيفة جدا و لا يقوي بعضها بعضا،فالحديث من جهة الإسناد ضعيف،لكن معناه صحيح،تدل عليه أدلة الشريعة و قواعدها.

قال:(عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا ،إن من ضعف اليقين).

اليقين هو: الاعتقاد الجازم و العلم الذي لا يخالفه شك و هو الإيمان كله كما قال ابن مسعود رضي الله عنه:اليقين الإيمان كله .

و اليقين من فرائض الدين التي لا بد منها،فواجب و فرض على العبد:أن يكون على يقين من أن أمر الله حق،و من أن وعده صدق،و من أن قدره عدل،و من أن الأمر كله لله.

لا بد من اليقين: اليقين بأن أمر الله حق ،و أن وعده صدق،و أن قدره عدل،و أن الأمر كله لله سبحانه و تعالى .و هذا اليقين يقوى و يضعف و لذلك ينبغي على العبد دائما أن يعمل على ما يقوي يقينه: مِنْ قراءة القرآن بتدبر، و مِنْ التفكر في مخلوقات الله، و مِنْ النظر إلى نفسه،فإن هذا يقوي يقينه.

فمن جهة **قوة اليقين**: جاء مثلا قول الله عز وجل:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ إبراهيم عليه السلام كان يعلم علم اليقين:أن الله يحيي الموتى،لكنه عليه السلام لكمال عبوديته لله عز و جل طلب ما يقوي يقينه،فطلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ليزداد يقينا و هذا معنى: ﴿ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ .

و أما ضعف اليقين: ففي مثل هذا الحديث الذي معنا.

و لضعف اليقين علامات و أسباب جاءت في هذا الحديث:

١/ **أن ترضي الناس بسخط الله**:اليقين يا عبدالله :أن ترضي الله عز وجل،و أن تستجلب رضى الناس بإرضاء الله سبحانه و تعالى: فتقدم ما يريده مولاك على ما يريده الناس أو يريده هواك لأنك توقن أن الأمر كله لله و أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء سبحانه و تعالى،فالذي يرضي و يسخط هو الله سبحانه وتعالى،لو بذلت للناس كل ما يستطيع إنسان أن يبذله إذا لم يرد الله،أن يرضوا عنك،فلن يرضى عنك أحد و لو فعلت ما يسخط الناس لأن الله أمرك به و أراد الله أن يرضى عنك الناس سيرضى عنك الناس،فأنت على يقين من هذا،فخشيتك من الله و حسيبك الله سبحانه و تعالى:

﴿وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾

هذا هو اليقين و من ضَعْف اليقين،يعني يقال:ضَعْف و يقال:ضُعْف،لكن ما يقال ضِعْف لأن ضِعْف "بكسر الضاد" الزيادة و أماضَعْف وضُعْف و هما لغتان للعرب فيعني:النقص.

ضَعْف اليقين: أن ترضي الناس بسخط الله، أن تخاف الناس أو ترجو ما عند الناس خوفا أو رجاءً يجعلك تترك الواجب من أجل إرضاء الناس أو تفعل الحرام من أجل إرضاء الناس.

بعض الناس تأمره زوجته بترك واجب تقول إحلق لحيتك،أو بفعل حرام:إحضر لنا كذا من المحرمات،فيقول والله أخاف من لسانها و أخاف أن لا ترضى عني و تذهب و أنا عندي اولاد،هذا من ضعف اليقين و لن ينال بهذا مقصوده كما سيأتينا إن شاء الله.

إذن من أسباب ضعف اليقين و علامات ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله سبحانه و تعالى، فتعاوض رضى الله بسخط الناس و بئس المعاوضة و إنه والله للخسران:أن تستبدل رضى الله بسخط الله عز وجل،بأن تطلب رضى الناس و تقدمه على رضى الله سبحانه و تعالى،هذا السبب الأول و العلامة الأولى.

٢/ و أن تحمدهم على رزق الله:

الله عز وجل هو الرزاق و هو المعطي لا معطي غيره سبحانه و تعالى،قد يجعل الله بعض خلقه سببا لرزقه لكن المعطي هو الله على كل حال سواء أن جاءك الرزق بواسطة أحد من الخلق أو بغير واسطة من الخلق،المعطي على الحالين هو الله سبحانه و تعالى و لذلك **قال النبي ﷺ** :(إنما أنا قاسم و خازن و الله يعطي)، النبي ﷺ و هو يقسم للناس و يعطي الناس يقول:(**إنما أنا قاسم و خازن**)، النعمة من الله :(**و الله يعطي**) ،رواه البخاري في الصحيح،فاليقين يا عبد الله أن تعتقد ذلك و تعلم علما يقينيا :أن ما قسمه الله لك لا يستطيع أحد من خلق الله،بل و لا خلق الله جميعا منعك منه و ما لم يقسمه الله لك لن يستطيع أحد من خلق الله،بل الخلق جميعا أن يوصله إليك،تعتقد هذا مع بذل الأسباب المشروعة،ما تقول أنا على يقين و لا تبذل الأسباب المشروعة تقول رزقي سيأتيني و أنا في بيتي و هذا سيأتينا إن شاء الله في الباب التالي عندما نتكلم عن التوكل،و هذا يقتضي يا عبدالله: أن يتعلق قلبك بالله طلبا للرزق و حمدا مطلقا عند حصول الرزق،أن يكون قلبك معلق بالله عند طلبك للرزق و أن تحمد الله الحمد المطلق عند حصول الرزق،فالمحمود على الإنعام هو الله سبحانه و تعالى و ليس للمخلوق منك إلا شكر معروفه،ما نقول أهمل المخلوق إذا جعله الله سببا لوصول النعمة إليك،إذا جعله الله سببا لحصول الرزق،بل اشكر معروفه و هذا من شكر الله،لا ينافي حمد الله و لا ينافي شكر الله أن تشكر معروف

المخلوق، قال النبي ﷺ:(**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**)،رواه الترمزي، وصححه،قال الترمزي:هذا حديث صحيح،و صححه الألباني.

و قال النبي ﷺ:(**من صنع إليكم معروفا فكافؤوه،فإن لم تجدوا ما تكافؤنه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**).رواه أبو داوود و النسائي،و صححه الألباني.

إذن اليقين في باب النعم الواصلة أن تعلم: أن المعطي و المنعم هو الله ، و أن تحمد الله، و أن تشكر الله.

و من شكر الله أن تشكر من جعله الله سببا لوصول النعمة إليك.

وضعف اليقين هنا أن تحمد المخلوق، حمدا يقارب حمدك لله فضلا عن أن تساوي حمدك للمخلوق بحمدك لله، فضلا عن أن تنسب الخير للمخلوق وتنسى الله.ضعف اليقين أن تحمد المخلوق حمدا يقارب حمدك لله، هذا من ضعف اليقين فكيف إذا جعلت حمدك للمخلوق مساويا لحمدك لله، فكيف إذا أصابتك النعمة من طريق مخلوق نسيت الله ولم تشكره ولم تنسب النعماء إليه وحمدت المخلوق لا شك أن هذا من ضعف اليقين. ومن ضعف العقل أن تضيف النعمة إلى السبب وتنسى المسبب.

هذا **السبب الثاني** لضعف اليقين والعلامة الثانية.

والسبب الثالث والعلامة الثالثة: هو أن تذمهم على ما لم يؤتك الله، هذا متعلق بسابقه فقد تقدم أن اليقين أن تعلم أن المعطي هو الله، وأن المانع هو الله وأن الخلق لو اجتمعوا جميعا بقوة واحدة على أن يعطوك كسرة من تمر لم يكتبها الله لك لن يستطيعوا ذلك، وأن الخلق لو اجتمعوا جميعا بقوة واحدة على منعك من أمر قد كتبه الله-عز وجل-لك لن يستطيعوا ذلك.

فإذا طلبت من مخلوق شيئا فلم يعطك؛ طلبت من مخلوق شيئا من أمور الدنيا، أعطني مالا، أعطني سيارتك، فلم يعطك فإن اليقين أن تعتقد أن الله لم يرد لك أن تأخذ هذا.

إذ لو أراد الله لك أن تأخذ هذا لاستجاب العبد لطلبك يقينا. فإذا لم يستجب فاليقين أنك مباشرة أن لا تلتفت إلى المخلوق وإنما يلتفت قلبك إلى الله وتعلم أن الله لم يرد لك أن تحصل على هذا.

وبالتالي فإنك لا تذم المخلوق على هذا، فمن ضعف اليقين أن تذم المخلوق على امتناعه عن إعطائك شيئا. من جهة عدم الإعطاء، من جهة سوء الخلق، من جهة البخل هذه صفات في المخلوق لكن من جهة عدم الإعطاء أنت على يقين أن الذي منع هو الله-سبحانه وتعالى- هذا المخلوق لا يستطيع أن يمتنع إذا أراد الله أن تأخذ هذا الشيء. فمن ضعف اليقين أن تذم المخلوقين على ما لم يؤتك الله.

هذه أسباب ثلاثة وعلامات ثلاثة على ضعف اليقين ويظهر فيها أن المؤمن عزيز يرتبط قلبه بالله سبحانه وتعالى.

قال :"**إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره**": هذه جملة تعليلية لكل ما سبق؛ تدفع كل ضعف. إن رزق الله: ومنه رضى الناس لا يجره حرص حريص: والله مهما حرصت ما لم يكتبه الله لن يكون، لو سعيت الليل والنهار في أن ترضي الناس إذا لم يكتب الله لك أن يرضى عنك أحد من الناس فلن يرضَ عنك أحد من الناس، لا بذكائك لا بعملك لا بمالك، لا بتنازلاتك.

الرزق المادي لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره. لو أرضيت الله ولزمت التوحيد والسنة وأراد الله أن يرضى عنك مَنْ في خيرك رضاه، رضا الناس جميعا ليس فيه الخير. الخير أن يرضى عنك أهل الخير، فإن الناس أعني أهل الخير سيرضون عنك.

خلاصة كل هذا:أن توقن أن سبب كل خير لك في العاجل والآجل هو طاعة الله والاجتهاد في إرضائه سبحانه وتثبت على هذا الطريق. وضعف اليقين عكس هذا . فهذا هو معنى هذا الحديث المروي الذي قلنا إن إسناده ضعيف ولكن معناه صحيح.

يقول قائل أين الخوف في هذا الحديث؟!!والجواب:

أن الداعي إلى ضعف اليقين المذكور في الحديث هو الخوف، أوالرجاء ما الذي يجعل الإنسان يلتمس رضا الناس بسخط الله؟!! إما أنه خائف وإما أنه يرجو ما عنده. ما الذي يجعل الإنسان يحمد المخلوق على نعمة الله؟!! إما أنه خائف منه فيحمده بما ليس فيه، وإما أنه يرجو ما عنده يريد أن يستجلب الذي عنده.

ويتبع هذا أن الذي يجعل الإنسان يذم الناس، إما عدم حصول الرجاء وإما اندفاع الخوف.

ما الذي يجعل الإنسان يرتاح في الذم ؟!!! إما أنه لا يخاف: مثل الآن خفافيش الظلام الذين يذمون الناس في الإنترنت، في المواقع الإلكترونية، يجلس في بيته ويتسمى أبو فلان وقد يقول زورا وكذبا أبو فلان السلفي ولا يظهر عليه من السلفية ما يدل على ذلك ويسب الناس في بلده وفي غير بلده.

وإذا جاء أمام شرطي أو أُستدعي في مكان كان من أحسن الناس لفظا.

أهل الحق في نقدهم لأهل الباطل كلامهم علانية، وبنقد علمي يقوم على البرهان؛ أما هؤلاء الذين يذمون ويخترعون ذما وسبا لأنهم آمنون، فالذم لعباد الله سببه إما عدم الخوف طبعا بعض الناس-والعياذ بالله- نظرته إلى الناس، ما يخاف من الله.

ولا ننفي الخوف مطلقا ولكن نقول في عمله هذا لا يخاف من الله وإنما نظروا إلى الناس. ولذلك لما أصبح هناك أنظمة تضبط هذه الأشياء الإلكترونية خف هذا الأمر. أو يكون سببه اندفاع الرجاء إذا لم يرجو شيئا من الإنسان خلاص يئس منه، أو لا يرجو منه شيئا فإنه قد يذمه.

أما المؤمن الموقن صاحب الحق، فحمده لله، وإذا حمد مخلوقا؛ أي أثنى عليه فلله.

يخاف من الله ويرجو ما عند الله وإذا ذم مخلوقا فلله. يخاف الله ويرجو ما عند الله سبحانه وتعالى وبهذا تعلم أيها الكريم مناسبة الحديث للباب؛ وهو أن ضعف اليقين سببه، إما الخوف وإما الرجاء على ما بيناه.

وعن عائشة–رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في صحيحه

هذا الحديث قال عنه الشيخ الألباني–رحمه الله– صحيح لغيره

أعني برواية ابن حبان وقد رواه ابن المبارك، والبغوي ،و الترمذي من وصية أمنا عائشة رضي الله عنها لمعاوية رضي الله عنه وذلك أن معاوية رضي الله عنه كتب لأمنا عائشة رضي الله عنها أن تكتب له كتابا توصيه فيه، فكتبت إليه أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : "من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله–عز وجل– وكله الله–عز وجل– إلى الناس".

وقال الألباني صحيح ؛فهذا الحديث صحيح

من التمس: الالتماس هو الطلب بتذلل. من التمس رضا الله بسخط :جعل عوض رضا الله سخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس والمقصود يا–إخوة– أن من التمس رضا الله ولو سخِط الناس تمسك بتوحيده لو قالوا وهابي لو قالوا ما قالوا يتمسك بالتوحيد، يتمسك بالسنة مهما قال الناس فإنه موعود بأن يكفيه الله مؤونة الناس.

ومادام أن الله يكفيك مؤونة الناس فكيف تخاف منهم بل أنت على يقين أن ما يصلك من أذى الناس إنما هو رفعة لك، فلا تخاف من الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله –عز وجل– فجعل عوض رضا الله إرضاء الناس فيرضي الناس بما يسخط الله، فيترك الواجب أو يفعل الحرام، من أجل أن يرضي الناس سخط الله عليه وأسخط عليه الناس فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

والداعي لذلك إنما هو الخوف والرجاء فالذي يلتمس رضا الله ولو أسخط الناس الذي يدعوه إلى هذا خوفه من الله ورجائه ما عند الله–عز وجل– والذي يلتمس رضا الناس ولو أسخط الله، الذي يدعوه إلى هذا خوفه من الناس أو رجاء ما في أيدي الناس وبهذا تعرف مناسبة الحديث للباب.

وهذا الحديث فيه قاعدة شرعية قطعية؛ وهي أن المقصود الحسن مع العمل الصالح سبب لحصول الخير.

وأن المقصود الفاسد سبب لأن يعامل الإنسان بنقيض قصده.

فالذي قصده أن يرضي الله لزم سنة رسول الله ﷺ فهو موعود بالخير، في العاجل والآجل والذي قصده أن يرضي الناس ولو بسخط الله –سبحانه وتعالى– فإنه يعامل بنقيض قصده الفاسد.ماذا يريد؟

يريد أن يرضي الناس سيسخط الله عليه الناس، بل والله حتى من رضي عنه اليوم ينقلب عليه غدا أو يكون رضاه عنه سببا لاستمراره فيما يضره. يعني بعض الناس يأتي لبعض دعاة الباطل يقول ما شاء الله(شوف قد رضي عنه الناس) فهذا علامة على أن الله قد رضي عنه.

لاااا انظر إلى السبب فإن كان السبب قصدا حسنا وعملا صالحا فإنك ترجو أن يكون رضا الناس لأن الله رضي عنه.

أما إذا تخلف القصد الحسن أو تخلف الصلاح في العمل، فليس هذا علامة على رضا الله–عز وجل–وإنما هؤلاء الناس الذين يرضون عنه اليوم قد ينقلبون عليه غداً يسخطون عليه.

وقد يكون رضاهم عنه سببا لإستمراره في الباطل حتى يلقى الله وهو على هذا الباطل والعياذ بالله.

وهذا فقه عظيم يتعلق بهذا الحديث.

وقبل أن نغادر هذا الباب أعني باب الخوف أذكر أمرين فاتني أن أذكرهما في التمهيد للباب:

الأمر الأول: ذكر بعض الألفاظ الشرعية المقاربة للخوف وهي الأول:

الخشية : الخوف عندنا الخشية: والخشية هي الخوف المقرون بالعلم والتعظيم، فهي من أعلى درجات الخوف؛ لأن الخوف قد تخاف ممن تعلمه وتعلم بأسه وقد تخاف ممن تجهله، قد تخاف ممن تعظمه وقد تخاف ممن تذمه. أما الخشية فهي خوف بعلم وتعظيم، كما أن الخشية خوف دائم؛ لأن سببها بالقلب.

أما الخوف فإنما يكون عند وجود سببه. والخشية للعلماء وكلما زاد العلم زادت الخشية.

والخوف للعموم الخوف يشترك فيه العامة والعلماء. والخشية تكون من العلم، وليس المقصود بالعلماء يا–إخوة– من يسمون بالعلماء وإنما المقصود بالعلماء من يعلمون. كلما علم العبد حق الله وأسماء الله وصفات الله زادت خشيته لله وكلما زاد كلما زادت خشيته لله–عز وجل– ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يقول العلماء الخوف للعامة والخشية للعلماء.

اللفظ الثاني : **الرهبة**:– الرهبة–كما يقول العلماء– هي خوف مقرون بالهرب فالرهبة الإمعان في الهرب من المكروه. لاحظوا المجانسة بين الرهبة والهرب؛ الحروف واحدة. فالرهبة خوف مقرون بالهرب أو كما عبر بعض أهل العلم:الإمعان في الهرب من المكروه كل من تخافه وترهبه تفر منه،إلا الله فإنك إذا رهبته فررت إليه. ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ –سبحان الله– كل من ترهبه تفر منه العامة ماذا يقولون في أمثالهم:– يقولون أبعد عن الشر وغني له.

كل من ترهبه تفر منه إلا الله-عز وجل- كلما ازدادت رهبتك من الله كلما فررت إليه-سبحانه وتعالى-

اللفظ الثالث: **الوجل**: والوجل هو رجفان القلب لتذكر من يخاف سلطانه، أو تخشى عقوبته.

الوجل حركة في القلب، اضطراب في القلب، رجفان في القلب إذا تذكر صاحبه من يخاف سلطانه، أو تحذر عقوبته.

الرابع: **الهيبة**: وهي خوف مقارن للإجلال والمحبة.الهيبة خوف ولكنه خوف مخصوص مقارن للإجلال والمحبة. فالهيبة خوف المحبين.

الخامس: **الإشفاق**: والإشفاق خوف يدعو إلى العناية، تقول أشفقت عليك، يعني خفت عليك فاعتنيت بك. فهذه الألفاظ الخمسة لها تعلق بالخوف بل هي من الخوف ولكنه خوف مخصوص.

فمن فقه هذا الباب أن ندرك معانيها. وقد لخصت لكم ما أبحر فيه أهل العلم في هذا الباب.

والأمر الثاني :ذكرنا أن الإنسان في سيره إلى الله-عز وجل- يحركه الحب ويحرسه الخوف ويسارع به الرجاء.

قلنا أن الإنسان وهو في الدنيا يسير إلى الله وهو في سيره بين خطوتين لا ثالث لهما تقدم وتأخر هو في سيره إلى الله يدعوه إلى التقدم المحبة ويحرسه من الزلل الخوف ويرده إلى الصراط الخوف قد يزل الإنسان في سيره إلى الله لكن إذا زل رده الخوف إلى الصراط ويسارع به الرجاء.

كلما عظم رجاؤه لما عند الله سارع وسابق إلى الخيرات ذكرنا هذا لكن ما الذي يغلبه الإنسان من الخوف أو الرجاء وهو يسير إلى الله.

قال بعض أهل العلم يغلب الخوف وقال بعض أهل العلم يغلب الرجاء.

والتحقيق أن المؤمن في سيره إلى الله يكون بين الرجاء والخوف لا يزيد هذا على هذا ولا يزيد هذا على هذا يعبر العلماء يقولون كجناحي طائر؛ الطائر تتساوى جناحاه لا يكون هذا الجناح طويلا وهذا الجناح قصيرا، فالإنسان يطير إلى إرضاء الله-عز وجل- جناحي الخوف والرجاء.

كما قال الله-عز وجل- ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾

فتأمل كيف جمع الله في هذا النبأ العظيم بين الخوف والرجاء

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ : هذا باب الرجاء.

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ :هذا باب الخوف

وفي الآية الأخرى قال الله-عز وجل- ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

سبحان الله في الآية الأولى تقدم الرجاء وتأخر الخوف، وفي الآية الثانية تقدم الخوف وتأخر الرجاء.

ولكن الآيتين تدلان على أن المؤمن يكون بينهما بالخوف والرجاء.

ولكنه قد يغلب أحدهما لحاجة وسبب، فإذا رأى من نفسه قنوطا من رحمة الله.

والقنوط من رحمة الله يا-إخوة- لابد أن يؤدي إلي أحد أمرين: إما إلى تأخر عن الطاعة أو إلى استمرار في معصية،؛ يعني الإنسان إذا كان في معصية و قنط من رحمة الله يقول أنا الله لن يرحمني ماذا يفعل، يستمر في المعصية لماذا أترك المعصية أنا لن يرحمني الله. وإذا كان على طاعه فقنط من رحمة الله سيبطئ عن الطاعة وقد يتركها بالكلية. يقول أنا فيَّ كذا وفيَّ كذا الله لن يرحمني وبالتالي نشاطه للطاعة سيضعف حتى يضمحل ويذهب. فإذا رأى من نفسه ميلا إلى القنوط غلَّب جانب الرجاء وقرأ في القرآن ما يتعلق بالرجاء، وقرأ في الأحاديث ما يتعلق بالرجاء. وإذا رأى من نفسه ميلا إلى التوسع الاعتماد على رحمة الله ومغفرته لا سيما في السر، فيرى أن نفسه بدأت تعمل بعض المعاصي، ويقع في النفس أن الله غفور رحيم.

وأنت تصلي والصلاة كفارة للذنوب، وأنت تتوضأ والوضوء كفارة للذنوب. فيرى في نفسه ميلا إلى التوسع والوقوع في الذنوب فإنه يغلب جانب الخوف. ويقرأ في النصوص الكتاب والسنة ما يعظم جانب الخوف في قلبه. كذلك إذا كان في جانب قوة وصحة يغلب جانب الخوف، لأن القوة والصحة قد تدعو الإنسان إلى أن يطغى، فيغلب جانب الخوف.وإذا كان فيه ضعف أو مرض يغلب جانب الرجاء.

طبعا ليس المقصود بالقوة الصحة والعافية المعتادة، وإنما المقصود إذا رأى من نفسه قوة و صحة فإنه يغلب جانب الخوف حتى يهذب نفسه. وإذا كان فيه ضعف ومرض ومرت به حوادث خذله الناس فانكسر قلبه يغلب جانب الرجاء. إذا كان في مرض يغلب جانب الرجاء. وكذلك في آخر حياته إذا رأى أنه بدأ يضعف وأن الموت قرب ورأى العلامات: وهن في الجسد، وشيب في الشعر، وشيب الشعر هو النذير.

رأى هذا فإنه يغلب جانب الرجاء. يقول النبي-صلى الله عليه وسلم-«لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله-عز وجل-»رواه مسلم في الصحيح ،لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله-عز وجل- ففي حال الإقبال على الله وشعور المرء الموت لاسيما عند وصول علاماته الظاهرة أو الواصلة فأحس الإنسان بالموت فإنه يغلب جانب الرجاء هذا هو الباب العظيم الذي له أثره العظيم في توحيد المؤمن وفي سير المؤمن إلى الله.

قاعدة كلية أنه كلما حققت التوحيد ضعف الخوف من قلبك إلا كان طبيعية.

كلما حققت التوحيد ضعف خوف الخلق من قلبك، إلا ما كان طبيعيا في الفطرة في الطبع

فكلما حققت التوحيد تعلق قلبك بالله وانصرف عن الناس، حتى أن من الناس من لا يري الناس شيئا إلا في ما حده الله له.ما هو يحتقرهم لا في سيره إلى الله لا يري الناس شيئا يجل الناس يحترمهم، يعطيهم حقهم على وفق ما شرع الله. ولكن لا يلتفت إليهم في سيره إلى الله-عز وجل- فلا يترك طاعة ولا يبطئ عنها من أجل الناس ولا يفعل حراما ولا يقترف منه من أجل الناس ولا يرائي الناس لا يُسَمِّع الناس.

كلما حقق التوحيد؛ كلما انقطع خوفه من الخل ق، وتعلق قلبه بالله إلا ما كان خوفا طبعيا.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حيث دلت الآية على أن الخوف من الله من الإيمان، وشرط في الإيمان وأن الخوف منه ما هو مأمور به ومنه ما هو منهي عنه ويدخل في الخوف المنهي عنه خوفان:

-خوف السر وهذا إذا حصل من المخلوق فإنه ينقض الإيمان كما تقدم.

- وخوف المخلوق خوفا يدعو إلى ترك الواجب أو فعل الحرام وهذا ينقص الإيمان.

يعني إذا خاف المخلوق من الإنسان خوف السر؛ هذا يبطل إيمانه ، ينقض إيمانه.

وإذا خاف من المخلوقين خوفا يدعوه إلى أن يترك الواجب و يفعل الحرام، فهذا ينقص إيمانه.

الثانية :تفسير آية برآءة

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ والشاهد منها قول الله عز وجل ﴿لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ فكان خوفه من الله وقد تقدم الكلام عن هذا.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ الإنسان إذا قال إنه آمن فلا بد أن يفتن، لابد أن يفتن لاتحسبن يا-عبد الله- أنك تقول آمنت ولا تفتن، لابد أن تفتن.

فمن الناس من يقول آمنت بالله، فيفتن بالناس ويخاف من الناس، فيجعل فتنة الناس كعذاب الله أو أشد فيترك الواجب أو يفعل الحرام من أجل خوفه من الناس.

الرابعة: إن اليقين يضعف ويقوى

كما في الحديث :"أن من ضَعف اليقين" أو ضُعف اليقين وهذا لا شك فيه كما قدمنا، اليقين يقوى ويضعف. طيب ما فائدة هذا ؟!! أن تسعى يا-عبد الله- إلى تقوية يقينك وأن تجتنب ما يضعف يقينك؛ لأن اليقين الإيمان كله.

قال الخامسة: علامة ضعفه ومن ذلك هذه الثلاث

أن تلتمس رضا الناس بسخط الله-عز وجل- وأن تحمد الناس على رزق الله، وأن تذم الناس على ما لم يؤتك الله.

السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض

كما دلت عليه الأدلة المذكورة في الباب كلها.

السابعة:ذكر ثواب من فعله

وهو أن الله-عز وجل- يرضى عن عبده، ويُرضي عنه من الناس من في رضاهم عنه الخير له، ويؤمّنه يوم القيامة، لا يجمع الله لعبده بين خوفين. فمن خاف الله في الدنيا أَمَّنَهُ يوم القيامة، إذا أردت الأمن يوم الفزع الأكبر فخاف اليوم.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه

وهو أن من ترك الخوف من الله-عز وجل- كما قلنا إذا كان هذا تركا للخوف الذي هو توحيد ترك لخوف السر فهذا نقض للإيمان وإبطال للإيمان وإذا كان هذا الخوف ليس خوف السر لكنه يجعل العبد يترك الواجبات أو بعض الواجبات ، ويفعل بعض المحرمات فهذا نقص في الإيمان يعاقب عليه الإنسان؛ ومن العقوبة في الدنيا أن يُسخط الله العباد عن العبد، أو يبتليه برضاهم عنه، ويستدرجه بهذا-والعياذ بالله- وأن يكون ذلك سببا لدخول النار وللفزع يوم القيامة فمن أمن في الدنيا وترك خوف الله اشتد فزعه يوم القيامة-نسأل الله السلامة- ونسأل الله-عز وجل- أن يرزقنا الخوف منه في الدنيا والأمن يوم القيامة.

وبهذا ننتهي من هذا الباب العظيم الذي من فقهه حصل خيرا عظيما.

وبهذا-يا إخوة- تعرفون أن التوحيد كله خير. مافيه باب في التوحيد، إلا وفيه خيرا عظيما.

يا-إخوة- لا تستقيم الطاعة كما يريد الله إلا مع التوحيد والله حتى الصوفية الذين عندهم خلل في التوحيد ويزعمون أنهم عباد تجد عندهم خللا في العبادة الصحيحة ما تجد عندهم نشاطا للعبادة الصحيحة.

بعضهم يأتون إلى الحج، إلى قرب بيت الله-عز وجل ويرقصون ويغنون ويضربون بالدفوف والطبول في منى وفي عرفة!! في عرفة بدل مايقفوا ويتذللوا ...كذا يرقصون ويغنون بعضهم يأتي إلى مدينة رسول الله ﷺ يسكن في فندق قريب من مسجد النبي ﷺ ما عنده اجتهاد في الذهاب إلى المسجد النبوي ولزوم حلق أهل العلم، اجتهاده في الذهاب إلى شيخ من شيوخ الباطل، وإلى بدع، وقد يجتمعون في غرفة من غرف الفندق ويقيمون ويحدثون بدعا. ويغفلون عن قول النبي ﷺ :« المدينة حرم ما بين عير إلى ثور من أحدث فيها حدثا، أو آوى فيها محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» الاستقامة على الطاعة إنما تكون بالتوحيد، ولذلك يا-إخوة- أوجب الواجبات أن نتعلم التوحيد،

وأوجب ما يجب من تعليم الناس أن نعلم الناس التوحيد،؛ لكن بعلم وبصيرة و بإسلوب طيب وبدلالة وبصبر. والله ما دعا داع إلى التوحيد إلا أوذي والله أولهم الأنبياء-عليهم السلام- ثم الصالحون من بعدهم.

فالداعية إلى التوحيد يحتاج أن يصبر؛اصبر على كلام الناس وماذا يضرك!.

قد أوذي من هو خير منك ولكن ادع بعلم ورحمة ورفق وأسلوب حسن، ما أمكن هذا.

أسأل الله-عز وجل- أن يجعلنا من عباده الموحدين وأن يفقهنا في دينه وأن يجعلنا من المعظمين لحقه.